الخطاب البصري للصورة الكاريكاتورية من المنظور السيميائي التداولي

The visual discourse of the caricature from the perspective semiotics

إسمهان عدوان
طالبة دكتوراه
جامعة الجزائر 2
البريد الالكتروني: Doctorat.ismahanadouan@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2019/05/13 تاريخ القبول: 2019/05/29 تاريخ النشر : 2019/06/03

الملخص :

نسعى من خلال هذه الدراسة الكشف عن جملة من العناصر التي تجعل من الخطاب الكاريكاتوري خطابا سيميائيا تداوليا، بالنظر إلى خطوطه وألوانه، ولغته البسيطة، وما تحمله من قدرة في تحميل رسالة يمكن أن تفهم بطريقة مباشرة أو عكس ذلك، تحاول تعرية الظواهر أو مناقشتها أو توجيه الرأي العام ضدها.. إن هذه مقاربة هذه الخطابات مقاربة تداولية تفرض علينا تجاوز حدود النظر الى نصوص الخطاب على أنها مجرد دلالات ومضامين لغوية إلى ما فوق ذلك، إنه نشاط لغوي يحاول الكاريكاتير أن يعبر من خلاله عن أغراض ومقاصد تهدف إلى تصوير مواقف شخصية واجتماعية، بألفاظ وعبارات، باعتبار أن اللغة ليست وسيلة للتواصل الاجتماعي فحسب، وإنما أداة لتغيير الوقائع والتأثير في المتلقين.

الكلمات المفتاحية: السيميائية، التداولية، الكاريكاتير، الخطاب،الخطاب البصري
The visual discourse of the caricature from the perspective semiotics

Abstract:

We seek through this scientific study to uncover a set of elements that make the caricature discourse as semiotic discourse, in view of its lines, and its ability to carry a message that can be understood directly or conversely, that try to expose or discuss a phenomena or to direct public opinion against it.

The approach of these technical discourses is a pragmatic approach that forces us to transcend the boundaries of looking at the texts of the speech as mere linguistic connotations and contents, it is a linguistic activity in which the caricature tries to express the purpose and targets of portraying personal and social attitudes.

المنارة للاستشارات
ww

Keywords: Semiotics – Pragmatics – Caricature – Discourse

إشكالية: إذا كانت اللسانيات مؤهلة لدراسة التواصل اللفظي كما أثبت ذلك فرديناندي سوسير في كتابه "محاضرات في للسانيات العامة" فإن السيميائية أو السيميولوجيا مؤهلة أيضا لدراسة الأنظمة التواصلية غير اللفظية، حيث إتفق كل من الباحثين بريتو واندرية مارتيني على أن العلامة تتشكل من وحدة ثلاثية الدال والمدلول، وهم يركزون على أن الوظيفة التواصلية تختص بالرسالة اللسانية المنطوقة، بل توجد في أنظمة غير لسانية أخرى كالإعلانات ومختلف الرسومات....، وبعدما كانت الدراسة السوسيرية ترتكز على ألية العلامة ووظيفتها التواصلية مع تجاهله المستوى اللساني الانجازي للعلامة وبالتالي إقصاءه للتداولية، من هنا كانت الانطلاقة لسيميائيات بيرس التي ترى أن البعد التواصلي ما هو إلا نمط خاص من أنماط الاتجاه الأمريكي، ولكي يكتمل مشروع البحث ينبغي أن تدرج باقي أنماط سيمياء بيرس ضمن السيميائيات، ومن ثم يبدو تدراك المعطى التداولي أمرا يتوقف على معالجة الجانب الانجازي للعلامة بكل ملابساته السياقية.فهي تبحث عن كيفية اكتشا ف المتلقي مقاصد المتكلم، ودراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتحليله في الخطابات بما فيها الخطاب الكاريكاتوري الذي ألق بظلاله على جميع الأصعدة وأصبح قوة لا يستهان به في تعرية ونقل الواقع المعاش، حيث يحظى في هذا العصر باهتمام كبير لما له من تأثير على جوانب الحياة المختلفة" السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية،....إلخ، ليصبح بذلك خطابا يجمع بين الصورة واللغة في رسالة إعلامية متعددة الأنساق(صور، ضوء، حركات...)، ومتنوعة الدلالات والإيحاءات المبثوثة في ثناياها والمتخفية بين حدودها المضمرة، وأصبح يفرض نفسه من خلال مميزات الصورة التي أضحت من أهم مقومات عملية الإبلاغ التي صارت فيها الشفرة في الدورة التواصلية مجموعة من الأنساق اللغوية وغير اللغوية" بصرية، سمعية".

وإشكالية هذه الدراسة.

- ما أهم المبادئ التي تستخدمها السيمائية التداولية في دراستها للخطابات البصرية بما فيها الخطاب الكاريكاتوري؟

- هل الاهتمام بالمعنى والإلمام بالمفاهيم اللسانية دون العناية بالصورة وكيفية أداءها يكفي من تحليل خطاب الصورة؟

المنارة للاستشارات
ww

1- سيميائية الصورة (اللساني والأيقوني): تعد السيميائيات من أهم المناهج النقدية التي وظفت مقاربة جميع الخطابات النصية، ورصد كل الأنشطة التبريرية بالتفكيك والتركيب والتحليل، بغية البحث عن أليات إنتاج المعنى وكيفية إفراز الدلالة، وذلك عبر مساءلة أشكال المضامين،مع سبر أغوار البنيات العميقة دلالة ومنطقا، وذلك من أجل فهم وتفسير عدد البنى النصية على مستوى البنية السطحية تركيبا وخطابا، فالسيميائيات تهدف إلى إستكشاف البنيات الدلالية التي تتضمنها الخطابات والأنشطة التبريرية بنية ودلالة ومقصدية، والبحث عن الأنظمة التواصلية تقصيدا وتجريدا ووظيفة.

إستطاعت السيميائيات بوصفها علما حديثا، توفير فرصة دراسة الصورة على أساس أنها علم يختص بدراسة الأنساق التواصلية اللسانية وغير اللسانية كما حددها سوسير، مما دفعه إلى اعتبار اللسانييات فرعا من هذا العلم الأعم الذي يدرس حياة العلامات داخل الحياة الإجتماعية لهذا العلم الذي قد يصير فرعا من علم النفس الاجتماعي ومن ثم علم النفس العام، ومن هنا ينظر الى الصورة على أنها نسق مؤهل لإنشاء الدلالة كغيره من الأنساق، ومن ثم الإستعانة به في عمليات التواصل[1]

فالتعريفات التي وردت عن السيميائية تعني كلها العلامة أو الدليل وبالتالي فإن موضوع السيميائية يتمحور حول العلامة والتي تتكون من وجهين مرتبطين ببعضهما البعض ارتباطا قويا هما: الدال والمدلول وبالجمع بينهما يتكون المعنى.

إن الصورة تشمل على علامات ورموز وقواعد ودلالات لها جذور في التمثلات الاجتماعية والفكرية السائدة في المجتمع، وتكمن سيميائية الصورة في فهمنا لهذه الرموز والقواعد والدلالات الموجودة بالصورة، وبالتالي إمكانية قراءتها ومعرفة دلالتها، أو بمعنى أخر التعرف على سيميائية الصورة.

وهناك قاسم مشترك بين اللغة والصورة ويتمثل في الدال والمدلول والرسالة، في حين هنالك أيضا فارق كبير بينهما يتمثل في إنفراد اللغة الطبيعية بالخاصية الصوتية التي تجبر الرسالة اللغوية على الاشتغال في الزمن، بحيث يستحيل خروج وحدتين صوتيتين في نقطة زمنية واحدة ضمن السلسلة الكلامية. أما الصورة فتظهر كخطاب حامل لمجموعة من الرسائل متزامنة الحضور على الصفحة[2].

- توصف السيميائيات بأنها العلم العام لكل الأنساق التواصل اللسانية وغير اللسانية، فهي

المنارة للاستشارات
ww

بهذا نشاط معرفي بالغ الخصوصية من حيث أصوله وامتداداته، ومن حيث مردوديته وأساليبه التحليلية، له علاقة بمجموعة من الحقول المعرفية مثل: اللسانيات والفلسفة والمنطق والتحليل النفسي والأنثروبولوجيا، كما أن موضوعها غير محدد في مجال بعينه، وإنما السيميائيات أداة لقراءة السلوك الإنساني في مظاهره المختلفة، بدءا بالانفعالات البسيطة ومرورا بالطقوس الاجتماعية وانتهاء بالأنساق الايديولوجية الكبرى[3]

من هنا، تعد سيميائيات بيرس نموذجا مناسبا جدا لتحليل االخطابات البصرية ودراسة معطياتها الثابتة وبخاصة ذات السمة بالأيقونة الخالصة، ودراسة المعطيات المتحركة (صور السينما والتلفزيون والصور المتحركة)، ودراسة المعطيات البصرية اللغوية(الخطوط، التنظيم الطباعي للصفحة وكذا أنظمة التعبير الاتفاقية الأخرى (نظام الدور، التمثيل البياني للمعطيات)

- يقول بيرس إن الطريقة الوحيدة لتبليغ الأفكار هي عبر الأيقون وكل الطرق المباشرة لتبليغ فكرة ما يجب أن ترتبط من أجل تأسيسها باستعمال الأيقون وتبعا لهذا، فكل اثبات يجب أن يتضمن أيقونا أو مجموعة أيقونات، ويجب أيضا أن يتضمن علامات لا يمكن تفسير دلالاتها إلا عبر الأيقون[4]

- إن افتراض منهجية متكاملة لتحليل الرسائل البصرية الثابتة، تبدو معقدة وصعبة، وعلى القاريء، أن يكون مجهزا بترسانة من الأدوات الإجرائية التي تمكنه من إكتشاف خبايا الصورة، لأن شروط إعداد وتكوين واستقبال هذه الرسائل تشترك معارف وثقافات من النوع التاريخي، والاقتصادي والسياسي.

لذا إنجر مساءلة الصورة الفوتوغرافية من خلال المقاربة السيميولوجية الحديثة هي ليست جزءا لدوالها التقريرية بل عليها أن تبحث عن المدلولات الإيحائية للوصول إلى النسق الأيديولوجي الذي يتحكم في هذا النوع من العلامات، وهذا ما يسميه بارث **" الاسطورة"**[5] وهي عنده أيضا عمل بين السلطة المتحكمة في الصورة لأن لها بعدين ملتصقين تقريري وتضميني، فإذا كانت اللغة نتاج تواضع جماعي فهنالك أيضا لغة الصورة متواضع عليها تشمل علامات وقواعد ودلالات لها جذور في التمثلات الاجتماعية والإيديولوجية السائدة، فتصبح القراءة إنتقالا من مستوى إلى أخر، أي من نسق إلى نسق أخر وداخلهما من العلامة كشكل ومن ثم إلى المدلول كمفهوم وهكذا دواليك.

المنارة للاستشارات
ww

ومستويات قراءة الصورة البصرية تختلف من مجتمع إلى أخر، أولا حسب المرجعية الثقافية لكل من هما، ضف إلى هذا أن القراءة في حد ذاتها مشروطة بانتقال القارئ للصورة من المستوى النصي التقريري الى المستوى التضميني، وهذه العملية الإدراكية في حد ذاتها " ليست خالية من أي ضغط ثقافي أو اجتماعي، لأنه من أجل التعرف على شيء مصور، يجب قبل ذلك أن نعرف هذا الشيء، بمعنى أخر يكون جزء من التجربة العملية، وانطلاقا من اللحظة التي تتعرف فيها على الشيء المصور ليست فقط على مجموعة من الخطوط والألوان، فإنما سلوكيا يتطلب منا قراءة هذه الصورة بما نحمله من معاني وخلفيات ثقافية.

إن ما ينطبق على الصورة الألسنية قد ينطبق على الصورة البصرية إلا أن السيميائيين خلصوا إلى أن الثانية قد تحمل من اللبس أو الغموض الراجع إلى الخيال الاجتماعي، وهو ما يتسبب في عدة قراءات بالنسبة للصورة الواحدة، وعموما فإن قراءة الصورة البصرية تخضع لعدة مستويات:

1-1-المستوى التعييني: يمثل الانطباع الأولي بمجرد التعرض للصورة المرسلة إذ لا يتعدى مستوى الإحاطة بمحتويات الصورة بشكل عام، فالصورة كرسالة مرئية تحمل العديد من الارشادات المرئية وهذه الاشارات المرئية كما هو الحال للإشارات الألسنية الناتجة عن اتحاد بين الدال والمدلول، فالدال يمثل في شيء مرئي كرسم مثلا الخطوط والأشكال لحصان على ورق أما المدلول فهو مفهوم الحصان.

1-2-المستوى التضمني: يعرف على أنه ما وراء الصورة، إنه مستوى القراءة الرمزية أو مستوى التفكيك والذي يتوقف حسب **"فاستون باشلار"**على الخيال النشط المنتج المحرف للصور الثابتة وهو أفضل حليف للتأويل.

1-3-المستوى التقريري: يحاول فيه الإنسان تغيير الصورة وتأويلها وذلك بالنظر إلى عناصر الصورة بشكل أدق محاولا فهم العلاقات بين عناصرها المختلفة، والربط بينهما كوحدة مرجعا إياه إلى المعاني التي قد تتداعى في خاطره.

يهمنا كل هذا أن الصورة كما أشارت إلى ذلك الباحثة فايزة يخلف" علامة أيقونية مبنية على علامة متشابهة نوعية بين الدال والمرجع، أو بين الموضوع وما يمثله، أنها الدليل الذي يقلد أو سترجع بعض خصائص الموضوع الأصلي الشكل، الإبعاد الألوان، نسيج، وكل ما يستوعبه معنى الصورة المرئية، فهي معطى عام يتجاوز الاستعمال الشائع للكلمة الذي يقصدها على الصور

المنارة للاستشارات
ww

البصرية ويحسبها عند حدود التلفزيون، الرسم، السينما، الصور الفوتوغرافية، الفنون،الجميلة، لأنها يمكن أن تدل على نسخ وجودية أخرى، كصورة حضور الذات، وصورة العلامة، والصورة الذهنية، وكل منهم شكلي يمكن أن يتحول إلى هيكل صوري[6].

2- السميائية التداولية: إن ربط علاقة اللغة كنظام من العلامات السيمسائية بظروف الاستعمال يستوجب فهم الكيفية التي تعمل بها هذه العلامات اثناء العملية التداولية، من حيث وحدات معنوية منسوقة ، فمن أحوال تخاطبية يقتضيها السياق والمقام، ولا شك ان مثل هذا التصور يمكن الدارس من رصد المجالات والعوامل المنتجة للظروف المحيطة بالعمليات المناسبة لاستراتيجيات التخطيط والسياق مع النصوص، إنشاءا أو تداولا، من خلال منظومة الشفرات الأولية والثانوية المشتركة بين المؤلف والمتلقي، وذلك في ضوء مبادئ التحليل التداولي السيميائين وإجراءاته الكشفية، لاسيما وأن العلامات معاني ودلالات، وأن العلامة كما ينقل موريس بيكام عن الفرنسيين، " تريد أن تقول شيئا ورغم ذلك ليس باستطاعتها ان تقول شيئا إلا بوجود شخص يستقبلها، ويستجيب لما تريد قوله، وما لم تتوفر الإستجابة من جانب شخص ما، لا توجد دلالة أو معنى[7]"

تعتبر التداولية أخر مولود للسانيات، وهي تسعى الى الإحاطة بالدلالة الكامنة في النص وفي نفس منتجة ومتكيفة، وفي عناصر السياق المختلفة المحيطة بعملية انجازه وأدائه، والتداولية اللسانية من أهم المفاهيم الحديثة التي شدت انتباه الباحثين لاسيما في العقود الأخيرة.

وفي الدراسات اللسانية تهتم التداولية بالجانب اللساني، حيث تهتم بدراسة اللغة في علاقتها بالسياق المرجعي لعملية التخاطب، وبالأفراد الذين تجري بينهم تلك العملية التواصلية، ويرجع أول استعمال لمصطلح اللسانيات التداولية الى الأمريكي تشارلز موريس ويقصد بها كل ما يتعلق بمظاهر استعمال اللغة وخصائصها، أي الحوافز لنفسية للمتكلمين وكذا النماذج الاجتماعية وموضوع الخطاب غير ذلك، في مقابل ذلك المظهر التركيبي الذي يعني بالعلاقات التركيبية الشكلية والمظهر الدلالي الذي يعني بالعلاقات القائمة بين مدلول الوحدات اللغوية والواقع[8]، ويعود الفضل في وضع مصطلح التداولية الى الأستاذ المنطقي والفيلسوف المغربي الدكتور "طه عبد الرحمان" منذ سنة 1970 أي بعد حوالي 32 سنة من أول تعريف لها في الغرب من طرف شارل موريس في 1935.وقد حظي مصطلح التداولية بالإجماع والتداول بعد ذلك.

وتعتبر السيميائية إحدى الحقول المهمة التي نشأت في أحضانها التداولية، ففي تعريف تشارلز

المنارة للاستشارات
ww

موريس، للداولية أكد أنها جزء من السيميائية وتمثل إحدى مكوناتها، تهتم بدراسة العلاقة بين العلامات بين مستعمليها أو مفسريها" متكلم سامع قاريء، كاتب" وتحديد ما يترتب من هذه العلامات حيث حدد أبعاد السيميائية في ثلاث أمور هي[9]:

علاقة العلامات بالناطقين بها وبالمتلقي، وبالظواهر النفسية والاجتماعية المرافقة لاستعمال العلامات وتوظيفها، وذلك هو البعد التداولي الذي تهتم به التداولية.

علاقة العلامات فيما بينها، وذلك بعد تركيبي يهتم به علم التراكيب.

- إن الحديث عن السيميائية والتداولية يطرح على الدارسين جملة من التساؤلات تستدعي رصد التيارات اللسانية التي تقف وراء البرامج العلمية الكفيلة بفهم النشاط اللغوي في علاقته بالموضوعات السيميائية، التي يعبؤها المتكلم لإقامة التواصل مع المتلقي، ومن هذا المنطلق تصف التداولية إستعمال المتكلمين للأدلة اللغوية، ومن هذا المنطلق تصف التداولية إستعمال المتكلمين للأدلة اللغوية بهدف التأثير في الآخرين[10]وكذا بهدف تحقيق مقاصدهم التواصلية، وفي إطار هذا التوجه العام للتداولية، تعددت زوايا النظر واختلف أصحابها في مسألة الاقتراب من الفعل الكلامي.

-إن الموضوع السيمائي يهتم بالفعل التلفظي ويبرر وجود هيئتين هما اللافظ والملفوظ له، وإذا كان التلفظ هيئة لسانية وسيميائية يفترضها منطقيا الملفوظ وتظهر أثارها في الخطابات، فان موضوع السينمائي يستعمل للدلالة على كل مجموعة كيفما كان نوعها" جملة خطاب سياسي رواية لوحة صورة فوتوغرافية....الخ"، وكيفما كانت اشكال التعبير وانواع التجلي سمعية بصرية ذوقية شمية لمسية، والتي قد تتواجد في سيميائيات تسمى " تأليفية" على نحو نلحظ ذلك في السينما التي تشتغل على البصري والسمعي.

السيميائية وتحليل الخطاب البصري:

تعد الخطابات البصرية الأنساق السيميائية الأكثر حضوة بإهتمام السيميائين المنظرين والممارسين للتحليل التطبيقي على الخطابات، ذلك لأنها تقدم الخطاب الأكثر وضوحا فيما يتعلق بتمظهر دوالها، من خلال صفته التعينية المرئية، وهذا ما يحقق حالة الإنفصال التام في العلامة البصرية بين شقيها: الدال والمدلول، هذا وقد مثل الاستثمار الهائل لها في الفترة المعاصرة أوج الاستعمال السيميائي اعتمادا على درجة التأثير القصوى، بناءا على نسبة اتلقي العالية كما وكيفا للخطابات االبصرية عند الانسان بكل فئاته العمرية وطبقاته الإجتماعية

المنارة للاستشارات
ww

وأحواله النفسية، بل ومستوياته الثقافية ومراتبه العلمية. وللصورة اليوم مداخلها ومخارجها،لها أنماط للوجود واناط للتدليل، إنها نص، وككل النصوص تتحدد باعتبارها تنظيما خاصة لوحدات دلالية متجلية من خلال أشيا أو سلوكات أو كائنات في أوضاع متنوعة، إن التفاعل بين هذه العناصر وأشكال حضورها في الفضاء، وفي الزمان يحدد العوالم الدلالية التي تحيل بها الصورة.[11] فالصورة أيضا تعبير عن الرؤى المختلفة، ودلالاتها ومعانيها وتأثيرها، وكيفية النظر إليها بوصفها رموزا، فهي تعرف أيضا منظومة متكاملة من الرموز والأشكال والعلاقات والمضامين والتشكيلات، أما اقتران الصورة بالأيقونة فيكمن في إخضاعها لنسق معين بغية الوصول إلى تأويل يحيل إلى خصوصية سيميائية للعلامة بصفة عامة والبعد الأيقوني للصورة يتضمن جدلية المرئي واللساني يتجاوز حدود النزعة الثنائية التي تحدث عنها سوسير[12].أما رولان بارث وريث المدرسة السيميولوجية مع فرديناند سوسير، فتنزع السيميولوجيا عنده إلأى دراسته،"كل أنساق العلامات مهما كان جوهرها، وأيا كانت حدودها صوتا وحركات وموسيقى وأمتعة"objets"بالإضافة إلى الظواهر الجوهرية المعقدة التي توجد في الأشكال الإحتفالية والبرتوكولية أو حتى المشاهد الفرجوية ، بما هي أنساق دلالية في حدها الأدنى، إن لم تشكل لغة قائمة بذاتها[13].

فالسيماء تدرس العلاقة اللغوية والعلامة غير اللغوية وهي هنا تتمثل في القارئ بوصفه عنصرا فعالا في الخطاب، فهو بعلاقة مع النص ،ومع المنتج قصد التواصل والإبلاغ عن طريق مؤشرات غيرلسانية ينتهيان إلى شكل إبلاغي ذي وظيفة اجتماعية[14].

وهنا يظهر المتلقي في الخطاب في صورة القارئ الضمني الذي يمثل العلامة غير اللسانية في الخطاب، فقد أوجدته السمياء كونه يمثل عنصرا أساسيا في الخطاب لأن غيابه يجعل الخطاب في حالة كمون، ومن ثم يغدوا القارئ في فعل القراءة يمثل القطب الجمالي للعمل الإعلامي ، بينما المؤلف يمثل القطب الفني فيه، ولهذا يعد القاريء مشاركا في انتاج الخطاب فقد أصبحت السلطة للقارئ، لأن القراءة كما يقول إيزر":izer"، تعطينا الفرصة لصياغة ما لا يصاغ[15]. وتستعمل الصورة المرئية مجموعة من الأليات البلاغية والبصرية بغية التأثير والإمتاع

والاقناع، وتمويه المتلقي، مثل التكرار والتشبيه والكناية، المرسل الاستبدال الجناس، الإضمار...، والتشكيل البصري، وعلى العموم يستوجب تحليل الصورة سيميائيا أن نصف

المنارة للاستشارات
ww

الصورة على مستوى الإطار والمنظور والعتبات، ومقاربتاها إيكونو لوجيا "Econologie"، ودراسة مكوناتها البنيوية تحليلا وتأويلا والتركيز على العلامات الشكلية والبصرية واستقراء العلامات اللغوية واستكناه العلامات الأيقونية، مع البحث في المقاصد المباشرة وغير المباشرة، ويشتغل أليات التأويل استدعاء المؤوّل الدينامي، بتتبع عمليات السيموزيس " التدلال" والانتقال من التعيين إلى التضمين مع الإنتقال أيضا من القيم الأكسيولوجية المجردة المحايدة إلى القيم الأيديولوجية بالمفهوم السيمائي.[16]

وهكذا تستوجب المقاربة السيمائية دراسة الخطاب البصري من خلال الانطلاق من مستويين، مثل المستوى اللغوي والمستوى الأيقوني إلى جانب المستوى التداولي الذي يهتم بدراسة المقاصد المباشرة وغير المباشرة في الرسائل البصرية.

إن خطاب الصورة كما يرى" جون لوك غودار" يحتوي على جانبين متعارضين ومتكاملين، هما الجانب الدلالي " ما يقال،" والجانب الجمالي أي ما يتضمنه الخطاب دون قوله بشكل مباشر، بل منغرس في ثنايا الخطاب ورموزه الموحية. ولأننا نعيش في عصر تعد الصورة إحدى سماته نجد أن الصورة الصحفية أصبحت عنصرا له وظيفة هامة في الصحافة وليس مجرد شكل جمالي يزينها، وأصبح القاريء العادي لا يقتنع بتلقي الخبر بالكلمات، بل يريد أن يعرف الصورة التي حدث بها هذا الخبر، إن عرض مجموعة من الصور لأي حدث ذي أهمية إخبارية يساعد على التأكيد البصري لهذا الحدث[17].

فالصورة تصحب الخطاب، لأنها من المفروض أن تفهم بسرعة أن يفهمها أكبر قدر من المتلقي، فهي وسيلة إيضاح مساعدة على الفهم لأنها تتميز بنسق أيقوني، خاص قد يجعلها تصل إلى المعنى من أقرب مرمى، فتقدم للمتلقي خدمة مهمة جدا لأنها تكثف من فعل التبليغ، وبذلك تتسلط على الحساسية المأثرة لديه، وتخاطبه بطريقة مختلفة عما تخاطبه به اللغة، فتعمل على إيقاظ الانسان الذي يرقد في أعماقه.

سيميائية الصورة الكاريكاتورية

إن الإنسان علامة وما يحبط به علامة، وما ينتجه علامة، وما يتداوله أيضا علامة، وخلاصة ان لاشيء يفلت من سلطان العلامة، ولا شيء يمكن أن يشتغل خارج النسق الذي يحدد له حجمه وامتداده وعمقه، كما لا يمكن أن يوجد شيء داخل هذا العالم حرا طليقا يحلق في

المنارة للاستشارات
ww

فضاءات الكون لا تحكمه ضوابط أو حدود، ولا يحد من نزواته كنسق،أن كل شيء يدرك تحقيقه بصفته علامة ويشتغل كعلامة، ويدل بإعتباره علامة.

ومفهوم العلامة لا يتوقف عند المعطى اللساني، بل يشمل كل أنماط الترميز الثقافي التي تتخذ لها أشكالا متباينة في التجلي، وتتوسل بوسائط أخرى غير الوسيط اللغوي في الظهور والاشتغال، وتضع مجتمعة لحمة التداولات الرمزية في المجتمع، فعلى أساس العلامة تكون المجتمع وانتظمت بنياته وأنساقه، وتشعبت علاقاته وسيظل وجود المجتمع رهينا بوجود العلامات[18]

ولهذا فإن السيميائيات في تصور" بورس" ليست إضافة جامدة تدرج أنواع العلامات في خانات قارة بشكل نهائي، إنها العكس من ذلك ترد كل الانساق إلى حركية الفعل الإنساني، إنها تجعل من الإنسان العلامة وتجعل منه صانعا للعلامة وتقدمه كضحية في نفس الوقت، ولكنها تضع هذا العالم للتداول بإعتباره أنساق غير قابلة للوصف.

فلهذا فإن دائرة العلامات تتسع لتشمل كل الموجودات، بل إن الواقع ليس كذلك إلا في حدود مثوله أمامنا كعلامة، فلا يمكن تصور إدراك حقيقي يجعل من الموجودات كيانات مفصولة عن الذات التي تدركها" فإذا قلتم بأن هذا الموضوع موجود في استقلال عن كوني أفكر فيه، فإن كلامكم لا معنى له"بورس.

فالانسان مهد العلامات، وهو منتجها ومستهلكها والمروج لها، فلا شيء يوجد خارج مدار ترسمه العلامات من سيرورات دلالية لا يمكن أن تقف عند حد معين، فالمعنى موجود في العلامات والعلامات وحدها هي السبيل إلى إنتاج الدلالات وتداولها[19].

والسيميائيات كما صممها سوسير" عبارة عن:" علم يدرس حياة العلامات في قلب الحياة الاجتماعية والنص الذي يتلى دائما:" اللغة نسق من العلامات المعبرة عن أفكار وهي لهذا تقارن بالكتابة وبحروف البكم، الصم، وبالطقوس الرمزية، وبعبارة أخرى الأداب العامة، و بالعلامات العسكرية إلى آخره إنها فقط ذات أهمية أكبر من كل هذه الأنساق[20].

ويعد المدخل السيميائي من أهم المداخل التي تصلح لتحليل الصورة لأي الخطاب الكاريكاتوري سواء في نسقه اللساني أم في نسقه الأيقوني، وتتوسع فيه دراسة العلامة لتشمل العلامة اللسانية وغير اللسانية، ولذلك تعد السيمائية في منظور بيرس"Peirss"، مدخلا منهجيا مهما في دراسة الخطابات

المنارة للاستشارات
ww

البصرية ومنها الصورة الكاركاتورية التي تحتوي على علامات كثيرة ومتنوعة كاللون، الإضاءة، واللغة الرمافقة للصورة، ولابد من الإشارة هنا إلى أن هذه المداخل مترابطة إلى الدرجة التي يصعب الفصل بينها، فنرى تداخلا واضحا بينها وبين المدخل التداولي الذي يبحث في استنطاق ودراسة سياق العلامة.

وحسب السيميولوجيون الصورة الكاريكاتورية حامل للمعنى والاتصال في نفس الوقت، ونجاح العملية الاتصالية التي تؤديها الصورة يتوقف كثيرا على متلقيها أو قارئها، أو يقوم هذا الأخير بتأمل الصورة ثم يبحث في المعنى الحقيقي لها. وبالتالي فإن الصورة لها المعنى الخفي الذي ندركه بمجرد ملاحظة الصورة وكذلك المعنى الخفي الذي يتطلب منا الغوص في تحليلها وفك رموزها[21].

والصورة الفتوغرافية حسب رولان بارث ذات استقلالية بنيوية، تتشكل من عناصر منتقاة ومعالجة وفق المتطلبات المهنية والجمالية والأيديولوجية، حيث تضيف لها بعد تضمينيا لتصل للمتلقي الذي يكتفي بفهمها، وقد يعيد التفكير بقراءتها بقدر ما يمتلك من مخزون الثقافة، ومن المعروف أن الصورة على مر العصور مرتبطة بالتطور التاريخي، والذي يعنيننا هنا هو ام مسائلة الصورة الفتوغرافية تهدف لاستخراج التمثلات الذهنية والتي تتحكم في العادة بالسلوكيات اليومية للإنسان في مجموعة القيم التي ينتجها[22].

وما دمنا في سياق التواصل غير اللساني نشير إلى الصورة بوصفها لغة جديدة، فهي جوهر الفنون البصرية رغم حاجاتها إلى الكلمة والصوت، ويؤكد الباحثون المشتغلون في هذا الحقل" أن الصورة خلقت صورة جديدة واستحوذت على طاقة البصر،فاعتقلت عقله مخيلته، وتطور الأمر في تفاعل اللامرئي في الصورة ولا وعي الإنسان فغيرت حياة العالم فأزالت القيود واخترقت الحدود وكشفت الحقائق،.... وهي مللتقى الفنون وهي العتبة التي يقف عليها المتلقي قبل أن يدلف إلى العالم اللامرئي للعمل الفني[23].

ويعتبر رولان بارث " خير من يمثل سيميولوجيا الدلالة، لأن البحث السيمولوجي لديه هو دراسة الأنظمة و الأنسقة الدالة، فجميع الوقائع والإشكال والأنظمة اللغوية تدل. فهناك من يدل باللغة، وهناك من يدل بدون لغة المعهودة، بيد أن لها لغة خاصة، وما دامت الأنساق والوقائع كلها دالة فلا عيب من تطبيق المقايس اللسانية على الوقائع غير اللفظية، أي الأنظمة السيميولوجية غير اللسانية لبناء الطرح الدلالي ومن بينها سيميولوجيا فن الرسم، وقد انتقد

المنارة للاستشارات
ww

بارث في كتابه" عناصر السيميولوجيا" الأطروحة السوسيرية التي تدعوا إلى إدماج اللسانيات في السيميولوجيا مبينا أن " اللسانيات ليست فرعا ولو كان مميزا من علم العلامات، بل السيميولوجيا هي التي تشكل فرعا من اللسانيات[24]". وعلى حسب بارث فالقراءة التضمينية ترجع إلى الدلالة الحقيقية للدليل ، بمعنى أنها تحيل إلى كون الصورة توحي بما هو أبعد ما تمثله كونها تتعلق بالجانب الإنساني المتصل بالتأثير الذي يولده " الدليل"، حين إلتقائه مع مشاعر وأحاسيس المتلقي[25].

واليوم أصبحت الصورة الكاريكاتورية تحمل خطابا إعلاميا شعبيا يهدف إلى تصوير أكثر المواقف والقضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي لها علاقة مباشرة بحياة الناس، إذ تختزل الصورة المساحات الشاسعة من الرؤى والأفكار التي قد تحتاج إلى العديد من المقالات والصفحات من اجل إيصال النعلومة، فخطاب الصورة الممتلئ بالرموز والإيحاءات الدلالية صار له الوقع المؤثر الذي يميزه عن خطاب الكلمة.

والكاريكاتور يستخدم أدوات تعبيرية مختلفة لبناء فكرته كالخطوط والألوان والظلال ،... ويتخذ طريقتين لنقل رسالته بكل مكوناتها وأبعادها مسقطا اللغة أو إرفاق أي تعليق، وقد يقدمها مصحوبة ببعض النصوص أو العبارات أو الكلمات للتعبير عن بعض الأشخاص أو المواقف.

والكاريكاتور في بعده الخطابي يتكون من مرسل الرسالة الرسام ومتلقي الرسالة وهو القراء، وخطابا وهو النسق اللغوي وغير اللغوي، فإذا نظرنا ’لى بنية الخطاب الكاريكاتوري نجد يجمع بين نسقين العلامة اللسانية والأيقونية معا.

وفي الختام يمكن القول أن الصورة الكاريكاتورية تزيل حواجز اللغة بين الناس، بحيث يتمكن كل واحد من قراءة العلامات التي تحتويها وإعطائها مدلولا يتوافق مع مرجعيته الفكرية والثقافية، ومن ثم تتحول الصورة إلى نص بصري قابلا للقراءة والتأويل بغض النظر عن لغته.

وبالتالي تمكنت السيميائية من جعل الإنسان يستنطق النص، حيث دخلت السيماء كل دوائر الخطاب وأوصلت لقراءة كل الخطابات، كما وجدنا أن الكاريكاتور حقلا سيمائيا غنيا مشحونا بدلالات تبدأ من كتابة النص وتنتهي بموقف المتفرج وبالتالي لابد لقاريء النص الذي بين يديه ان يولد دلالات وايماءات، فلغة الكاريكاتور تعتمد على علامات منطوقة وغير منطوقة، وهي علامات بصرية لتبحث السيمائية عن الأنظمة الدلالية للشفرات والعلامات وطرق إنتاج المعنى،

المنارة للاستشارات
ww

لأن الخطاب البصري يربك القاريء ويدخله في عملية تفكيكية للرموز والحركات الت يتضمنها النص، لأن القارئ ملزم بدراسة هذه الروابط الدلالية ومدى مواءمة كل عنصر لآخر لأن في الصورة يوجد الخطاب اللساني والأيقوني وهو ما يفرض على الباحث القيام بدراسة الروابط التي تجمع بين الصورة والنص المرافق لها.

قائمة المراجع:

1 قدور عبد الله ثاني، سيميائية الصورة، مؤسسة الورق للنشر والتوزيع، دط، 2007،عمان،ص100.

2-. عبد الباسط سند،فن التصوير التلفزيوني،دط،القاهرة ، 2009،ص132.

3--سعيد بنكراد،السيميائيات وموضوعها ،مجلة بحوث سيميائية ، عدد 3،4،جوان، ديسمبر،2007، ص179.

4- محمد الماركي،الشكل والخطاب، مدخل لتحليل ظاهرتي،المركزالثقافي العربي ط1،1998،بيروت ص6.

5- قدور عبد الله ثاني ، مرجع سابق ص20،21.

6- فايزة يخلف، سيميائيات الخطاب والصورة ،ط1،دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،2012، ص ص18،19.

7 -عبد العزز حمودة،الخروج عن التيه، دراسة في سلطة النص، مجلة عالم الفكر،عدد 298،الكويت،2003،ص111.

8- الطاهر لوصيف،التداولية اللسانية،مجلة اللغة والأدب،ع8ص17

9- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع،الجزائر،ط1،2009،67،68

10- حكيمة بوقرومة،التداولية وعلاقتها بعلم الدلالة والسيميائية،ص66.

11- سعيد بنكراد،سيميائيات الصورة الإشهارية،" الإشهار والتمثلات الثقافية"، إريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب،2006،ص31.

المنارة للاستشارات
ww

12- -دانيال تشا ندلز،أسس السيميائية،تر: هبة طلال،مركز الدراسلت ، بيروت، لبنان،ط لبنان،ط1،2008،ص ص97،98،

13- محسن بوعزيزي، السيميوولجيا الإجتماعية،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت، لبنان، ط1،2010،ص59

14 --محمد السرغيني،محاضرات في السيميولوجيا، دار الثاقفة للنشروالتوزيع،الدرا البيضاء،ص06.

15-رامان سلوم،النظرية الأدبية المعاصرة، تر:سعيد الغانمي،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1،1996،ص166

16- جميل حمداوي،سيميوطيقا الصورة المرئي أو البصري،ص17.

17- هيثم هادي الهيتي، الإعلام السياسي والإخباري في الفضائيات،دار أسامة للنشر والتوزيع،الأردن،2010،ص103.

18إمبرتوإيكو، العلامة، تحليلالمفهوم وال-تاريخ، تر: سعيد بنكرا، المركز الثقافي العربي، بيروت ، الدار البيضاء، ط1،2007، ص203.

19-سعيد بنكراد، السيمائيات والتأويل، مرجع سابق،ةص29.

20-بيير جيرو، السيميائيات، دراسة الأنساق السيمائية غير اللغوية، تر: منذر عياشي، دار نينوي، للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2016،ص05.

21-أمال قاسيمي، سيميائية الصورة الكاركاتورية بين تقنيات القراءة وأليات التأويل، جامعة خميس مليانة، ص02.

22- عبد الحميد جرادات، السيمائيات بين قيمته المعرفية وفن الاستدلال، مجلة أيقونات،المغرب، العدد،2011، ص08.

23-أحمد جاب الله، الصورة في سيميولوجيا التواصل،محاظرات الملتقى الرابع للسيماء والنص الأدبي، جامعة بسكرة،نوفمبر، 2006، ص195.

24-ساعد ساعد، عبيدة صبطي،الصورة الصحفية، دراسة سيمولوجية، المكتب الجامعي الحديث، 2012، ص72.

المنارة للاستشارات
ww

25-ساعد ساعد، الصورة الصحفية، مرجع سابق، ص73.

المنارة للاستشارات
ww